القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

أهل الكهف

عبد الحميد جودة السحار

١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أخذت مكتبة الطفل فى السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها فى جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجمًا أو معربًا .

وفى القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه فى مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا فى هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هى المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن فى هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثانى : أن نحقق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية وينمى الذوق الأدبى .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هى الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهى خاصة بقصص السيرة - سيرة الرسول ﷺ . وظهرت فى أربعة وعشرين جزءا ؛ وأما الحلقة الثالثة فهى خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت فى عشرين جزءًا ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية فى جميع العصور .

وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذى اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والله ولى التوفيق .

المؤلف

١

كانَ النّاسُ يستعدُّونَ للذّهابِ إلى المَعبدِ في يومِ العيد ، فوقَفُوا في الطريق ينتظرون موكِبَ المَلِك ..

وجاءَ الملكُ في عَرَبةٍ فخْمة ، تجرُّها خُيول ، عليها الزِّينةُ من الذَّهَبِ والفِضَّة ، وكان معه فتْيانٌ من أبناءِ العُظماء . ولما رآه الناسُ ركعُوا له ، وسارت عربته بين الناس الراكعين ، حتى وصلْت إلى المعبد . وهناك نزل هو وأبناءُ العظماء .

وكان في المعبد أصنام ، وهي تماثيلُ من الحجَرِ صُنِعتْ على شكلِ إنسان ، فلما وصل الملِكُ إليها سجدَ لها في احترام ، وسجَد لها الفِتْية ، ولكن أحدَهم لم يسجدْ لها ، وظهر عليه أنه لا يحترمُها .

ولاحظ الشُّبان أَبناءُ العظماءِ أنه لم يسجد معهم ، أمَّا

الملك فلم يَلحظْ ذلك ، لأنه كان مشغولا بعبادةِ التماثيل .

وانتهى الملكُ من عبادته ، وعاد فى عربتِه إلى قصرِه ومعه الفِتْيَة ، وسارتِ العربةُ بين الناس الراكعين على جانبى الطريق ، حتى إِذا أُقْفِل بابُ القصر ، سُمِحَ للناس بالدخولِ إِلى المعبد لعبادةِ الأصنام ، لأَنه لم يكن مسموحا لهم بالعبادةِ مع الملك

وجاءَ الليل ، وخرج الفِتيانُ من القصرِ ليذهبوا إلى بيوتهم ، ولكنّهم لم يتفرقوا إِلى بيوتهم ، بل التفُّوا حول الشابِّ الذى لم يسجدْ للأَصنام ، وقالوا له :

ـ نريد أَنْ نحدِّثك الليلة وتُحَدِّثَنا .

فقال لهم : ـ تعالَوْا إلى دارى .

فذهبوا معه إِلى دارِه ، وقالوا له :

ـ لماذا لم تسجدْ اليومَ للإِلَه ؟

فقال لهم :

ـ إنّنى فكرتُ فى هذا الإلَـه ، فوجـدتُ أَنـه تمثالٌ مِنَ الحجَرِ لا يسمعُ ولا يَرى ، ولا ينفـعُ ولا يضـرّ ، فوجدتُ أنه من الجنون أَنْ أسجدَ لحجر .

فقال له أَحدهم : ـ أَكفرتَ بآلِهَتِنا ؟

فقال الشاب :

ـ كفـرتُ بهـذه الحجـارة الخُـرْس ، وخرجـت إلى الفضاء ، ورفعتُ عيْنىَّ إلى السَّماء ، وسأَلتُ نفْسى : مَنْ رفَـعَ هـذه السمـاءَ ، ومَـنْ خَلَـقَ فيهـا شمسَـها وقمرَها ، ومنْ زيَّنهـا بـالنجوم ؟ ونظـرت إلى الأَرضِ وسأَلتُ نفسـى : مـن سـطحها ؟ ومـن أَنْبَـتَ الْحَـبَّ والعُشْـبَ والبَقْـلَ والأَشـجار فيهـا ؟ ومـن أَجْـرَى الأَنهار ، وخلَق الْجبـالَ ؟ ثـم اهتديـتُ إلى أَنَّ الَّـذى

خَلَق هذه الأشياءَ ، لا بدَّ أنْ يكونَ أكبرَ منها ، وأنَّـهُ قُوَّةٌ عظيمةٌ لا نَراها ، فتوجَّهتُ إلى هذه القُوَّةِ أَعْبُدُها.

فسكت الشُّبَّانُ قليلا ، ثم قال أَحدُهم :

- إنَّنى أَنا أيضا عرَفتُ أَنَّ هذه الحجارةَ التى يَعبدُها قومُنا لا قيمةَ لها ، لأَننى رأَيتُ الناسَ يَنْحِتُونها بأَيديهم ، ثم يَنْصِبُونها فى الْمعْبَد ويسجدون لها ، وفكّرْتُ فى نفسى ، فوجدتُ أَنَّنى كنتُ جَنينًا فى بَطنِ أُمِّى ، ثم أَصْبَحْتُ صغيرًا آكلُ وأَشرب ، وأَسمعُ وأَرى ، ثم صِرت شابًّا وكَبِرَ عقلى ، فصرتُ أُمَيِّزُ النافعَ من الضَّار ، وفكرْت فيمن خلقنى ، فاهتديتُ إلى أَنَّ منْ خلقنى لا بدَّ أَن يكون عظيمًا قادرا ، فأَخذتُ أَعبدُه وأُصلِّى له ،

وأَتوجَّهُ إليه فى دُعائى .

استمرَّ الشُّبانُ يتحدثون حتى آمنوا جميعا وقالوا :

« ربُّنا ربُّ السَّمواتِ والأَرض ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دونِه إِلَهًا ، لقدْ قُلْنا إِذًا شَطَطا » .

٢

صارَ الفِتْيانُ يَجتمعونَ كلَّ ليلةٍ فى بيتِ أَحدِهم ، يُصَلُّون لله ويعبدُونه ، وفى ذاتِ ليلة دخل عليهم أَحدُ أَعوانِ الملك ، فرآهم فى صَلاتِهم ، فسأَلَهم عمَّا يفعلون ، فقالوا له :

ـ إنَّ قومَنا يعبدونَ حجارة ، ونحن نعبدُ اللّه الذى خَلق السماءَ والأَرضَ وما بَيْنَهُما ، فاتركْ دينَ قومِك ، وادخلْ فى ديننا القويم .

فقال لهم الرجل :

- إني وجدْتُ آبائي على هذا الدِّين ، ولا أَستطيعُ أَن أَتركَ ما وجدتُ آبائي عليه .

فاستمر الفِتْيانُ يحاولونَ أَنْ يَدخُلَ الرجلُ في دينهِم ، ولكنَّه لم يقبلْ ، وتركهُم وذهب إلى الملك . فلما دخلَ عليه ، أَخبرَه أَن الفِتْيان الذين يلتفُّون حولَه قد تركوا دينَه ، ودخلوا في دينٍ جديد ، فغضبَ الملك ، وعزمَ على أَنْ يذهبَ إليهم ليعذِّبَهم ، لتَرْكِهم دينَه .

علِمَ الفِتْيانُ أَنَّ الرجل سيذهبُ إلى الملك يشكوهم ..وأَنَّ الملِكَ سيغضَبُ عليهم ، ويَقْبضُ عليهم ليعذِّبَهم أو يقتلهم ، فتشاوروا في الأَمر ، فرأَوْا أَن يهرُبوا من بلد الملك .

ركب الفِتْيَة خيولَهم ، وساروا حتى خرجُوا منَ المدينة ، ثم تركوا خيولَهم ، ومَشَوْا على أَرجُلِهم ،

فمرُّوا على صديق لهم في حقلِه ، وكانَ يعرفُ ديانتَهم ، ويعبدُ اللّه مِثلَهم ، فقال لهم :

- إلى أَين أَنتُم ذاهبون ؟

فقالوا له :

- علِم الملِكُ أَنَّنا تركْنا دينَه ، ولا بدَّ أنَّه الآن يبحث عنا ليقتلَنا ، فهربْنا منه .

فقال الشاب :

- إنَّنى ذاهب معكم .

وانضمَّ الشّابُّ إليهم ، وسارَ معهم ، وتبعَه كلبُه ، واستمرُّوا فى سَيْرِهم حتى جاءَ الليل ، فبحثوا عن مكان يَبيتُون فيه ، فوجدُوا فى الجبلِ كهْفا ، فذهبوا إليه والكلبُ خلْفَهم ، فقال أَحدُهم .

- إننا نخافُ أَن يفضحنا هذا الكلبُ بنُباحِه .

فطردوه ، ولكنه عاد إليهم ، فقال صاحبه :

- دعوه يحرسْنا من عَدُوِّنا .

ودخلوا الغارَ وناموا ، ونام الكلبُ على باب الغار ، وبسطِ ذراعيه .

٣

خرج الملكُ فى حَرَسِه وجنودِه ، يبحثُ عنِ الفِتيان الذين تركوا دينه ، ودخلوا فى دينٍ آخر ، حتى اهتدى إلى الكهفِ الذى لجأُوا إليه ، فنظرَ فوجد الشمسَ تمرُّ على باب الكهف ، فلا تدخُلُهُ أَشِعَّتُها ، ويبقى مظلما كما كان ، فاستغربَ وأَحسَّ بخوف ، فأَمرَ رجالَه بالدخول ، فأَحسُّوا بالرعب ، ولم يستطع أَحدٌ منهم أَن يدخل . وقال أَحدهم للملك :

- إنِك تريدُ أَن تقتلَهم .

فقال الملك :

ـ نعم .

فقال الرجل :

ـ سُدَّ عليهم باب الكهف ، واترُكْهم فيه يموتُون عطَشًا وجوعا . فأُعجِبَ الملِك بالفكرة ، وأَمر ببناءِ باب الكهف. وقال فى سخرية :

ـ إنْ كان لهم إلهٌ غيرُ آلهتِنا فلْيُخرجْهم من هذا الكهف !

٤

استيقظ الفتيانُ من نومهم ، فوجد كلٌّ منهم جسمَه موجوعا من النّوم ، وسأَل أَحدهم : كم مكثْنا فى هذا الكهف ؟

فقالوا له : مكثْنا يومًا أَو بعضَ يوم .

وشعروا بالجوعِ فقالوا : إننا جياع .

فقال أَحدهم :

ـ أَذهبُ فأَشترى لكم طعاما من السوق .

ـ قد يعثرُ عليك الملك ، ويَقْبضُ عليك .

ـ سأَذهبُ دونَ أَن يُحسَّ بى أَحد .

وقام الشابُّ ، فلما مر ببابِ الكهف رأَى حجارة مبنية ، ولم يجد إلاَّ فتحةً صغيرةً يدخلُ منها النور ، فنَقَض الحجارةَ وخرج ، وسار فى الطريق وهو يتلفَّت ، خوفًا أَن يقابلَه أحد رجال الملك ، فيقبض عليه .

ولكنه رأَى الطريقَ يختلفُ عن الطَّريق الذى سـ فيه ، ومر بمواضعَ لم يكنْ يعرفُها ، ووصل إلى باد المدينة ، فوجده يختلفُ عن الباب الذى يعرفه ، ففر عَيْنيه ، وضرب رأْسَه بيده ، فقد حسب أنه يحلُم

وتلفّت حولَه وهو يَعْجَب في نفسه كيف تغيرتْ الدنيا في ليلةٍ واحدة .

ومرّ على الحَوانيت فوجدَها غير التي يعرفُها ، ونظر في وجوه الناس ، فلم يعرفْ أحد . ووقَفَ يُفكِّرُ فيما جرى ، فلم يهتد إلى شيءٍ .

وأَخرج قطعةَ نقودٍ فِضّيَة ، وذهب إلى خبّاز وأَعطاهُ إياها ، وطلب منه أَن يُعطِيَه خبزا ، فأَخذ الخباز قطعةَ النقود ، وجعل يقلِّبها في حَيْرة ، فقال الشابّ:

ـ ماذا جرى ؟

ـ هذه القطعة الفِضّية !

ـ ماذا بها ؟ قطعة من النقود عليها صورة الملك .

فقال الخباز : صورةُ أيِّ ملِك ؟

ـ ملكُ هذه البلاد ، إن هذه القطعةَ اشْتَرَيتُ

بمثلها طعاما بالأَمس .

ـ لا بدَّ أَنك قد وجدتَ كَنزا ، فهذه قطعة نقودٍ قديمةٍ جدا ، وليستْ من نقودِ هذا الزمان .

ـ إِننى لم أَتركْ هذه المدينة إِلا أَمس .

فقال له الخباز :

ـ لا تسْخَرْ منّى ، ولن أَتركك ، سأُسْلِمُك للشُّرْطِىِّ لِيُسْلِمك للملِك .

فقال الشابّ :

ـ إِن الملك سيقتُلنى ، لأَننى تركت دينَه ، تركت عبادةَ الأَصنام ، وعبدتُ اللّه وحدَه لا شريكَ له .

فقال الخباز :

ـ لا تحاول أَن تخْدَعنى . إِننا لا نعبدُ الأَصنام ، وإِن ملكنا لا يقتلُ الذين يعبدون اللّه .

ثم نادى الشرْطىّ ، وأَراه قطعة النقود ، فنظر

الشرطىُّ إلى الشابِّ ، وقال له : هيَّا معى إلى الملـك ، لأنَّ هذه نقودٌ أثرية ، ولا بدَّ من تسـليمها للملـك . وسار الشـاب وهـو مبهـوتٌ إلى قصرِ الملِك ، فلما دخلَ وجدَ ملِكا آخرَ لا يُشبهُ الملك الذى هربوا منـه ، وكان الملك عادلا ، فقال :

ـ ما قصة هذا الفتى ؟

فقال الشرطى : لقدْ وجدَ كَنْزا !

فقال الشابّ :

ـ أنا من أهل هـذه المدينـة ، ولم أجـدْ كـنزا فهـذه نقودى .

فقال له الملك :

ـ اذكر أسماءَ من تعرفهم من هذه المدينة .

فراح الشاب يذكر أسماءَ من يعرفهم ، فلم يعرفـوا منهم رجلا واحدا .

فقال الشاب :

ـ خرجتُ بالأَمسِ هاربا من الملك دقْيانُوس .

فقال الملك فى عجب :

ـ الملك دِقْيانُوس ؟ لقد ماتَ من أَكثر من ثلاثمائةِ سنة .

فقال الشابّ :

ـ أكثر من ثلاثمائة سنة ! إِننى تركتُه بالأَمسِ فقط .

فقال الملك : هذا غير معقول .

فأَخرج الشابّ النقود التى معه ، وقدمها إِلى الملك ، وقال :

ـ هذه النقود عليها رسْمُه ، وقد اشتريتُ بها بالأَمس طعاما .

فأَخذ الملك النقود ، وراح يقلبها بين يديْه

ويقول :

ـ إن أَمرَكَ عجيب ، هذا النقدُ من ثلاثمائة سنة !

فقال الشابّ :

ـ وهل نِمنا في الكهفِ ثلاثمائة سنة ؟!

فقال الملك : نِمتم ؟ مَنِ الذين ناموا .

فقال الشابّ :

ـ أَنا وأَصحابي الذين فرُّوا من الملك دِقْيانُوس .

فقال الملك :

ـ إِنني لا أَستطيع أَن أُصدّقَ ما تقول ؟

ـ إِذا كنت لا تصدِّقُني ، تعال واسأَل أَصحابي .

وركبَ الملكُ ورجالُه ، وركبَ الشابُّ معَهم ، وساروا ، فلما اقتربوا من الكهف ، قال الشابُّ للملك ومن معه :

ـ يا قوم ، إِني أَخافُ أَنَّ أصحابي يُحِسُّونَ وَقعَ

أَرجل الخيل ، فيظنونَ أَنَّ دِقْيانوس جاءَ يطلُبُهم ، فيموتون من الخوف ، فقِفوا قليلا حتى أَدخلَ إِليهم وأُخبِرَهم الخبر .

فوقفَ الملكُ ومَنْ معه ، وذهبَ الشابُّ إِلى أَصحابه، فلما رَأَوْه قالوا له :

ـ الحمدُ لله الذى أَنقذك مِنْ دِقيانوس .

فقال الشابّ :

ـ دعونا من دِقيانوس ، كم مكثْتم فى الكهف ؟

قالوا : لَبِثْنا يومًا أَو بعضَ يَوم .

قال :

ـ بل لَبِثْتُمْ ثلاثَمائة سنة وتسع سنوات ، وقد مرَّت عليكُم تلك السنونُ وأَنتم نيام ، وقد ماتَ دِقيانوس وتغيَّرتِ الدُّنيا ، وأَصبحتْ غيرَ الدُّنيا .

عنْدَ ذلك أَحسَّ الفِتيانُ بالنوم فناموا ، وانتظر

المَلِك ، وطال انتظاره ، ثم ذهبَ يبحثُ عن الشَّابّ ، فوجدَه وأَصحابَه قد ماتوا .

فقال الملك :

ـ سبحانَ اللّه ! هذه معجزةٌ عظيمة ، وقد أَرانا اللّه أَنَّه قادرٌ على أَن يُحْييَ هؤلاء الشبان بعد أَكثرَ من ثلاثمائة سنة ، وهو قادرٌ على أَن يُحييَ الناسَ جميعا بعد أَنْ يكونوا ترابا .

« قال الذين غَلبُوا على أَمرهم : لَنتخذَنَّ عليهمْ مَسْجدا » .